The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
EISSN: 2959-4820
Volume 1, Issue 4, October-December 2023, Page No: 14-19
Website: https://najsp.com/index.php/home/index
SJIFactor 2023: 3.733 ISI 2023: 0.383

المرأة في الشعر العربي: الشعر المغربي نموذجًا

عبد الإله مساوي*
كلية اللغات والفنون، القنيطرة، المغرب

Women in Arabic Poetry: Moroccan Poetry as a Model

Abdelilah Moussaoui*
Faculty of Languages and Arts, Kenitra, Morocco

*Corresponding author abidou22@hotmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2023-08-03 تاريخ القبول: 2023-09-19 تاريخ النشر: 2023-10-02

الملخص

إن الكتابة على ما أنتجه الأدب العربي منذ بداياته يتجه بشكل تلقائي وربما مقصود إلى الإنتاج الذكوري بشكل عام غير منتبه لما تنتجه النساء بشكل عام، خاصة الشعري منه. يطرح هذا الوضع تساؤلات عديدة يرتبط بعضها بوجود إنتاج نسائي قادر على جعله موضوع دراسة، في مقابل تساؤل حول وضع الأدب النسائي مقارنة مع ما ينتجه الرجل. إنها وضعيات تلقي الضوء حول عوامل التمييز بين أدب المرأة وأدب الرجل، فكيف تبدو المرأة العربية شاعرة وموضوعًا شعريًا في الأدب العربي؟

الكلمات المفتاحية: الأدب العربي، الشاعرة، الشعر، المرأة.

Abstract

Writing about what Arabic literature has produced since its beginnings tends automatically and perhaps intentionally towards male production in general, not paying attention to what women produce in general, especially poetry. This situation raises many questions, some of which are related to the existence of women's production capable of making it a subject of study, in contrast to a question about the status of women's literature compared to what is produced by men. These are situations that shed light on the factors that differentiate between women's literature and men's literature. How does the Arab woman appear as a poet and a poetic subject in Arabic literature?

Keywords: Arabic Literature, Poet, Poetry, Women.

مقدمة

إن أول ما يتبادر إلى ذهن المتلقي في الحديث عن الشعر، غالبا، هو صوت الشاعر. في تغييب قد يكون تاما لصوت الشاعرة كاتبة، عبر عصور الشعر العربي. حقيقة قد تبدو منطقية لقلة الكتابة النسائية في هذا النوع الأدبي، لكنها إقصائية من جهة النظرة الأخرى للوجود.

فهل هذه النظرة الدونية لنتاج المرأة لها بعد فردي أم إنه امتداد لمشترك جماعي؟ ثم ما مدى ارتباطه بفترة زمنية دون غيرها؟

1 المرأة موضوعاً شعريًا:

إن من البديهي اعتبار حضور المرأة في أغراض الشعر العربي منذ البدايات من خلال ما أنتج من قصائد بديعة في وصف العلاقة بين الرجل والمرأة أدى إلى جعل غرض الغزل قائما بذاته، يفعل في النفس ما يجعلها تحس بعاطفة هي أصل الفطرة. ومعلوم أن امتداد هذا الغرض لم تتركه فترة زمنية ولا هجرة شعراء كل المراحل الشعرية وإن اختلفت الأماكن والأزمنة. يظهر ذلك في ربط أسماء شعراء بنساء بلغ حبهن مداه منذ الجاهلية، فعنترة متيّم بعبلة وقيس أحب ليلى وغيرهم كثير.

وقد كان هذا الغرض قريبا إلى النفوس وأبلغ في التعبير عن المشاعر، يتفاعل معه الشاعر والمتلقي معا بما يكشف الإحساس بأنبل عاطفة تحرّك مشاعر الناس. فجعل النقاد من هذا الغرض ما يقال مجونًا وفحشًا يربط فيه الشاعر حبّه بأكثر من امرأة واحدة، وقد ارتبط بالخمر وكثرة النساء حتى إن الشاعر يصعب القبض على مشاعره الحقيقية اتجاه المرأة، إذ يعتمد صورًا يصف فيها مفاتن النساء وارتباط مشاعره بلذّة عابرة، وفي هذا قول شعراء كثيرين على مرّ العصور، فهذا أبو نواس يقول في قصيدة غزلية:

أَبصَرتُ في بَغدادَ رومِيَّه ... تَقصُرُ عَنها كُلُّ أُمنِيَّه
قَصرِيَّةُ الطَرفِ شَآمِيَّةُ ال ... خَلوَةِ في نَكهَةِ زَنجِيَّه
صُدغِيَّةُ الساقَينِ تُركِيَّةُ ال ... ساعِدِ في قَدِّ طُخارِيَّه
هِندِيَّةُ الحاجِبِ نوبِيَّةُ الـ ... خدَينِ في زَهوِ عِبادِيَّه
حيرِيَّةُ الحُسنِ كَيانِيَّةُ ال ... أَردافِ في أَلِيَّةِ عاجِيه

في مقابل شعرعفيف يرتبط فيه الشاعر بامرأة واحدة ينقل حبه لها وصدها له في المقابل، فيلجأ للشعر يشكو به لوعته اتجاه من يحب يعلن إخلاصه لحبه، وفي هذا نظم شعراء كثيرون قصائدهم مشرقًا ومغربًا. فهذا قيس بن الملوح يقول في ديوانه:

أَقولُ لِأَصحابي وَقَد طَلَبوا الصِلا ... تَعالوا اِصطَلوا إِن خِفتُمُ القُرَّ مِن صَدري
فَإِنَّ لَهيبَ النارِ بَينَ جَوانِحي ... إِذا ذُكِـرَت لَيلى أَحَـــرُّ مِنَ الجَـمـــرِ
فَقالوا نُريدُ الماءَ نَسقي وَنَستَقي ... فَقُلتُ تَعالـوا فَاِستَـقوا المـاءَ مِن نَهري
فَقالوا وَأَينَ النَهرُ قُلتُ مَدامِعي ... سَيُغنيكُمُ دَمعُ الجُفونِ عَنِ الحَـفـرِ
فَقالوا وَلِم هَذا فَقُلتُ مِنَ الهَوى ... فَقالوا لَحـاكَ اللَهُ قُـلتُ اِسمَعـوا عُذري
أَلَم تَعرِفوا وَجهاً لِلَيلى شُعاعُهُ ... إِذا بَـرَزَت يُغني عَـنِ الشَمسِ وَالبَـدرِ

وكذلك قال شعراء مغاربة قصائد غزلية منهم مالك بن المرحّل، الشاعر المغربي (604هـ - 699هـ)، الذي أورد له العلامة عبد الله كنون في كتابه "النبوغ المغربي في الأدب العربي" قصيدة، يقول فيها:

تملَّكتم عقلي وطرفي ومسمَـعي ... وروحي وأحشائي وكلـي بأجمعـي
وتيّـهتُموني في بـديع جمالِكُـم ... فلم أدر في بحر الهوى أينَ موضعي
وأوصَيـتُموني لا أبـوح بسرّكُم ... فـباحَ بما أخـفي تفيـضُ أدمعـي
فلمّا فـنى صبـري وقـلَّ تجلّدي ... وفارَقتني نومي وحُرِّمَت مضجعـي
شكوت لقاضي الحبِّ قُلتُ أحبّتي ... جفوني وقـالوا أنت في الحبِّ مـدّع
وعندي شهودٌ بالصَبابةِ والأسـى ... يزكّـونَ دعـوايَ إذا جئتُ أدعـي
سهادي وشوقي واكتئابي ولوعتي ... ووجدي وسقمي واصفراري وأدمعي
ومن عجبٍ أنـي أحـنُّ إليهـم ... وأسـألُ شوقـاً عنهـم وهـمُ معـي
وتبكي دما عيني وهم في سوادِها ... ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلُعي

2 المرأة شاعرة

على عكس حضور المرأة في قصائد الشعراء، ظل صوت الشعر النسائي لصيقا بصفة الغياب إلا من بعض من نجت من تصنيف شعرها هزلا و "غير مصنف"، كالخنساء التي كتبت في الرثاء.

"وبناء عليه، تكشف هذه القصدية أن نقادنا القدامى لم يكونوا يختارون من شعر النساء إلا ما جاء في "باب التعازي والمراثي" الذي يكرّس "الفضيلة الاجتماعية"، لأنه باب الجدّ و اختبار الصدق، و أنه يجري مجرى الشعر الجزْل الذي لا ابتذال أو تهالك فيه، و أن من عادة المرأة و طبيعة تكوينها النفسي أنها تجيد في نظرهم ـ من قول الشعر ما يثيره شبوب عاطفتها و الشعور بالحزن و الفداحة عندها، و إلا ما قدّموا الخنساء على فحول الشعراء بسبب مراثيها في أخيها صخر، أو ليلى الأخيلية لمراثيها في توبة بن الحميّر."[1]

من الحجب إلى الظهور

اِمتدّت النّظرة الدّونيّة لأدب وشعر المرأة فترات كثيرة أيّدها التّوجّه العام للذّائقة الشّعريّة، والّتي تحكمها ثقافة تقديم الرجل واعتبار ما ينتج عن المرأة قليل الأهميّة وغير ذي نفع. غير أنّ الدّعوة إلى الانفتاح وتغيّر نمط العيش خلال القرن العشرين وما أسهمت به دعوات تحرير المرأة دفعا بالأصوات الشّعريّة النّسائية إلى البروز وخلع الحجاب عن رؤية أخرى لمجتمع الحداثة عبر رؤيا فكريّة تعيد النّظر في كلّ شيء، سِمته تغيير الوقائع ورفض الكائن سعيا لتحقيق وعي ممكن.

تجسّد هذا الوعي الجديد بشكل واضح مع ظهور حركة الشّعر الحرّ الّتي دعت إليها نازك الملائكة ضمن مَن نادى بتجاوز النّظام القديم نحو نظام جديد حكمه الحرّية في شكل القصيدة[2]، ومنها إلى حرّية ونظام جديدين يعيدان النّظر إلى الوجود عامة ووجود القصيدة نفسها في علاقتها بالآخر وفي علاقتها بذاتها معتمدة لغة رمزيّة تطفح بالطّاقة التّخييليّة التي ترافقها خفّة تنويعاتها الإيقاعيّة والبلاغيّة.

جرت هذه الطّفرة النّوعيّة في الكتابة الشعرية خلال منتصف القرن الماضي بما كان يحمله من عواصف فكريّة وإيديولوجيّة يغطّيها النّفس الرّومانسي العام وفِعل الحركة النّسائيّة الغربيّة في الأدب والنّقد معًا، ظهرت معالمه فيما كتبته سلمى خضراء الجيوسي و خالدة سعيد و يمنى العيد في مقالاتهنّ.

في هذا الواقع الجديد، أصبحت كتابة الشّاعرة تجربة تواجه تحدّي إثبات الوجود أمام شعر طغى صوته على مرّ عصور طويلة ينسج من خياله تصوّره للمرأة وعواطفها و سلطويّته عليها. إنها فرصة لتمييز الحسّ الأنثويّ في القصيدة عبر تمثّلاتها لذاتها وجسدها و ذاكرتها بخصائص لغويّة و جماليّة خاصّة بها، إذ "يبدو أنّ لسان المرأة أو لغتها المرحّلة اليوم كنسق من العلامات إلى سياق الكتابة الشّعريّة، هي مهمّة الشّاعرة لإعادة المرأة إلى الكتابة، حضورا بها إلى قلب الحياة."[3]

شعر المرأة في المغرب

لم يختلف وضع الشاعرات في المغرب عن غيره من الأقطار العربيّة مستجيبا لنداء ثقافة المحافظة والهيمنة الذكوريّة على الحقل الثّقافي والأدبيّ، ويظهر ذلك في غياب مدوّنات شعريّة لنساء عشقن الشّعر ومذاهبه فبقين موضوعا له ومنشدات في فترات ازدهار مجالس الأدب في عصور مختلفة.

إنّ التّأريخ للحركة الشّعريّة النّسائيّة في المغرب يستهدف عقد المقارنة بين الوضع الماضي والحاضر في شعرهنّ والّذي يبنين الحركية الفاعلة التي شهدتها تلك الدّيناميّة في الفترة الحديثة مع الانفتاح الحاصل على تغيير النّظرة إلى المرأة عموما وأدب المرأة خاصة. كذلك فعل تجربة التّحرّر الحاصلة بعد حصول المغرب على استقلاله واعتراف كلّ الأطياف المجتمعيّة بدورها في قضايا المجتمع.

استفادت الحركة النسائية في الشعر من الوضع الجديد الذي عرفه تحرّر الشعر ونموّ البعد الفكري لمجموعة من الرّائدات في كتابة الشّعر. "لم تظهر أول مجموعة شعريّة نسائيّة إلا في العام 1975.

---

[1] عبد اللطيف الوراري، في راهن الشعر المغربي، ص 158.

[2] يذكر عبد الله الغذامي عن نازك الملائكة أنها "المرأة الأنثى التي حطّمت أهمّ رموز الفحولة وأبرز علامات الذكورة، وهو عمود الشّعر." تأنيث القصيدة: قصيدة التفعيلة بوصفها علامة على الأنثوية الشعرية، مجلة فصول، المجلد السادس عشر، العدد 1، 1997، ص 66.

[3] محمد العباس، سادنات القمر: سرّانية النص الشعري الأنثوي، ص10.

موسومة ب "أصداء من الألم" لصاحبتها فاطمة الزهراء بن عدو الإدريسي. أضمومة شعر متواضعة فنّيا، لكنّها كسّرت صمتا مريبا وكثيفا خيّم على وجود المرأة وكينونتها لسنين عددا، وكسّرت طوق الخوف عمّن كانت تحتفظ بما تكتبه لأرشيف أوجاعها الخاص."[4]

اعتُبرت هذه المحاولة الأولى شرارة نبض سيرتفع منسوبه مع توالي الأيّام لتظهر شاعرات أخريات أثّثن المشهد الشّعري المغربيّ انطلاقا من ستينيّات القرن الماضي وما تبعه وإن على اطّراد، فنجد مليكة العاصمي بديوان "كتابات خارج أسوار العالم" (1987) وثريّا السّقاط وأخريات استفدن من الانفتاح الحاصل في المجتمع وكذا من سرعة الانتشار الّتي وفّرتها التّقنيّات الحديثة.

وقد ارتبطت مضامين شعرهنّ بالنّفس الثّوري والرّافض لما هو كائن، من خلال إعادة التّساؤل حول واقع الأمّة وواقعها، ما جعلها تعيد النّبش في الماضي والتّراث وترفض النّظر إليها نظرة تقليديّة يربطها بوظيفتها الجسديّة فقط.

تقول مليكة العاصمي : "علينا أن نستحضر مجتمع أواسط السّتّينيّات ، و نتخيّل صوتا ينبعث ممزّقا الغلاف الاجتماعي ، و الطّوق المضروب على المرأة، على حضورها و صوتها و مشاعر و أفكارها و مواقفها، إذ المرأة سرّ من أسرار المجتمع و خصوصيّته، و هي موضوع خطاياه و أخطائه و انحرافاته و جرائمه، عورته التي يعمل على سترها، و وضع الحجب و المغاليق و الرّقابة عليها، على صورتها و ما تفعله و ما تقوله أو تحسّه أو تفكّر به، و ما يدور في خلدها، فيحرص على إخفائها و تسييجها و منعها من الاتّصال كي لا تتكلّم أو تعبّر أو تكشف المستورات."[5]

وقد نقلت هذا الفكر الجديد والنّظرة إلى واقع آخر يمكن أن يخلّص النّساء من التّبعيّة والإحساس بالوجود المستقلّ من خلال قصائد كثيرة، نجد منها:

قصيدة النّفي، تقول فيها:

حلمت بالمدينة المقدّسة
أثخنت كل ماضي العمر بالجراح
قتلت موطني الباكي
وشيّعت الرّوابي الحانية
ماذا يكون يومي الجديد أو غدي ...

إنّ صوت الشّاعرة نموذج لبوح طال كتمه في الصّدور فأعلنت بصوتها عن حلم يثور فيجعل من يومها الجديد وغدها أفضل من ماضيه، يكشف عنه التّساؤل في نهاية المقطع مقتنعة بوصول مطر يبعث من جديد فيتغيّر اسمها، تقول في قصيدة "أحزان البعث أو الفضح أمام الذات":

غيّرت اسمي منذ حين
حينما العواصف
تقذف الأغصان
حينما الرّيح
تسوق من فوق المحيط كتلة السّحب
لتنزح الأحزان من فوق الزّهور
سمّيت نفسي كالمياه تنظّف الأغصان والشّجر
وتكنس الأدران في القلوب
والثّياب والحجر
قرّرت أن أدعى
"مطر".

إن صوت الشاعرة بوح بدواخلها التي تكتمها كل النساء الراغبات في التحرر من النظرة التقليدية إلى وضع المرأة، والذي سببته الظروف الاجتماعية والمعتقدات التي رسمت مهاما معينة للمرأة انسجاما مع

[4] عبد اللطيف الوراري، في راهن الشعر المغربي، من الجيل إلى الحساسية، ص 162.
[5] مليكة العاصمي، من كلمة تقديمها للجزء الأول من أعمالها الشعريّة بمعرض الكتاب بالدار البيضاء، فبراير 2007.

طبيعتها العاطفية و الفيزيولوجية، ما رسم أفضلية الرجل على المرأة في التصور العام الذي تتبناه المرأة نفسها. تكشف الشاعرة بصوتها عن هذه الثورة التي ستغير اسمها بما يحمله ذلك من دلالات تظهر معالمها حين الربط بينها وبين المطر الذي يغير الحال من كائن إلى ممكن آخر أفضل منه. إنها محاولة للتعبير عن الوجود المستقل في زمن يدفع نحو تحديث الفكر العربي.

تعلن الشاعرة بهذه القصيدة وغيرها عن وجهة نظر مشاركة في بناء المجتمع، فتكشف عن وضعها الاجتماعي وفكرها النضالي و رؤاها الفكريّة داعية إلى إعادة النظر في دواعي احتلالها لمرتبة أقل من الرجل أتت نتائجها على إقصاء ممنهج و متعمد في أحيان كثيرة و محافظ على البنية الفكرية للمجتمع التقليدي في أحايين أخرى. إنه سؤال الجسد في كليته بما يراه الآخر وحتى ما تراه هي نفسها فيه.

إن النظر في الموضوع يفرض التأمل في ثلاثة أبعاد تتكون من ثلاثة عناصر رئيسة: الجسد، والقصيدة، والمرأة المغربية. لذلك، نرى ضرورة دراسة مسألة المرأة وتشكلاتها وحدود حضورها في القصيدة، خاصة وأن حضور المرأة في هذا البحث مضاعف. إذ علينا أن نأخذ بعين الاعتبار المرأة الموجودة وراء القصيدة، وهي كاتبة القصيدة وخالقتها من جهة، والمرأة الموجودة ضمن القصيدة، من جهة ثانية. هكذا يصبح الحديث عن البعد الأنثوي يتأسس على هذين الجانبين للمرأة كفاعل وموضوع، لا يمكن الاستغناء عنهما في دراسة الجوانب المرتبطة بعلاقة المرأة بالشعر.

المرأة في القصيدة: نموذج ديوان حناجرها عمياء

إن استدعاء المرأة في القصيدة يفرض النظر إلى كيفية حضورها. بعبارة أخرى، كيف تتشكل المرأة في القصيدة؟ وبأية طريقة تظهر المرأة أمام القارئ؟

ولعل أول ما يثير الانتباه يتعلق بحضور المرأة في مستويين: مستوى النحو ومستوى الصورة. ولا غرابة في هذا التقسيم، لأن أغلبية القصائد لهذا الديوان تتميز بالاستعمال المكثف للضمائر التي تحيل على امرأة، بينما القصيدة الأخيرة تكشف عن مفهوم المرأة الذي ينبني على أساس صور شعرية متعددة.

في هذا السياق، نلاحظ أن حضور المرأة، في أغلبية القصائد، يقتصر على الجانب النحوي، من خلال استخدام الضمائر. إضافة إلى ذلك، لا يجب إغفال ظهور أول ضمير(ها) الذي يشير إلى المرأة في العنوان نفسه: **حناجرها عمياء**. وبعد ذلك، يقدم الديوان أمثالا تؤكد على هذه الوضعية:

[...] مَسْكُونَةٌ بِهِ
وحْشَتُهَا تزدادُ
أقيمي المِحْرَقةَ
انْثُري في الرُّوحِ
رَمادَك. [...][6]

(سَحَابَة)

نلاحظ، في القصائد، استعمال الضمائر المتصلة التي تدل على المرأة، مثل "ها" للغائبة و"كِ" للمخاطبة. أحيانا، نجد ضمير المخاطب وضمير المخاطبة على السواء، في قصيدتين مختلفتين، كما جاء في المثال التالي:

[...] تَصْرُخُ بِي الآلَةُ شُدِّي عَلَى وَتَرِي
أَشُدُّ عَلَى وَتَرِي [...][7]

(تَحَقُّقٌ أوّل)

[...] إذَا سَمِعْتَ صُرَاخَهُ
شُدَّ أُذُنَيْكَ عَنْهُ غُضَّ بَصَرَكَ عَنْ مَقَامَاتِه، [...][8]

(صُحبَة)

إضافة إلى ذلك، نجد، مثلا، قصيدة **هبَاءُ الرَّنين**، التي تتكرر ياء المخاطبة فيها، كما جاء في:

---

[6]) لطيفة المسكيني، **حناجرها عمياء**، ص.24

[7]) المرجع نفسه، ص. 32

[8]) المرجع نفسه، ص. 36

[...] كذِّبي الحُلمَ راقِبِيهِ أنَّى يَسْتَفِيقُ [...]
[...] لا تُقَبّلِي شفَاهَ الكَذُوبِ وإنْ صدَقَ. [...]
[...] كلُّ ظلٍّ يَحْمي ظلَّهُ آبْحَثِي عن الظِّلِّ! [...]
[...] اِذْهَبِي إليْها قالتِ الأرضُ [...]
[...] لا تُصَدِّقِي لَا يُوجَدُ عِقَالٌ صغيرٌ لقَلْبٍ صَغيرٍ! [...]
(هبَاءُ الرَّنين)[9]

خلاصة:

أبدعت المرأة العربية نصوصا في مختلف الفنون الأدبية منذ القديم، غير أن التهميش وعدم الاعتراف بقيمته، نظرًا لوضعية المرأة داخل المجتمع العربي عموما، وكذا قلة الأعمال الأدبية النسائية، جعلت من الاهتمام بتلك العمال قليلا. ومع تطور المجتمع وتطور الحركة النقدية، استفادت المرأة المبدعة من هامش ردّ الاعتبار والانتباه إلى صوت مختلف عن كتابة الرجل حول قضايا المجتمع والوجود.

أفرز هذا الوضع، الجديد، نصوصا شعرية مختلفة شرقًا وغربًا حقّقت تراكمًا نوعيًا سمح بدراستها وتمييزها بما تحمله من خصائص فنية ومضمونية. وقد أفرزت التجربة المغربية قصائد ضد السلطة وقصائد الجسد وقصائد وجودية، جعلت القارئ يدرك وعي الشاعرة بالتنوع الإبداعي المتخيّل.

يبقى في النهاية اشارة إلى عامل التكنولوجيا الحديثة وفعلها في الأدب وانتشاره، فهل ستستفيد منه المرأة العربية المبدعة لتحقيق انتشار أوسع وتثبيت حضورها؟

المراجع

1. لطيفة المسكيني، حناجرها عمياء، دار توبقال، الدار البيضاء، 2008.
2. محمد العباس، سادنات القمر: سرّانية النص الشعري الأنثوي، دار نينوى، دمشق، ط 2، 2010.
3. مليكة العاصمي، من كلمة تقديمها للجزء الأول من أعمالها الشعريّة بمعرض الكتاب بالدار البيضاء، فبراير 2007.
4. عبد الله الغذامي " تأنيث القصيدة: قصيدة التفعيلة بوصفها علامة على الأنثوية الشعرية، مجلة فصول، المجلد السادس عشر، العدد 1، 1997، ص 66.
5. عبد اللطيف الوراري، في راهن الشعر المغربي، من الجيل إلى الحساسية، منشورات دار التوحيدي،2014.

[9]) المرجع نفسه، ص. 53- ص. 58